

حب الوطن في الشعر العربي الحديث

أ. رحاب فتح الله الزاكي عدلان

المستخلص:

منذ أن عرف الإنسان الوجود عرف الوطن ، فأصبح يرتبط به ارتباطاً وثيقاً وبقدر قوة هذه الصلة تكون الحقوق متبادلة بين الإنسان ووطنه يجعله يحن اليه في غربته ، ويزم الغربة وقد كتب الشعراء في هذا الجانب الكثير من الأشعار وأصبح شعر الوطن يعكس أحوال الوطن وظروفه ، وحب الوطن فطرة تولد مع الإنسان ومن ثم تصبح ولاءً، لذلك كتب الشعراء عن أوطانهم واصفين معالم الوطن وطبيعته مصورين أفراحه وأحزانه بشعر يفيض صدق وعاطفة مؤثرة ، من خلال حب الوطن يتحدث الشاعر عن أهله ومدى ارتباطه بهم وهذا ينتج عن إلتزام وطني صادق، أحياناً يخرج الشاعر عن حب الوطن، موضع الميلاد الي الوطن الكبير، فالشاعر العربي كان يتفاعل مع أحداث الدول العربية ووقائعها المختلفة خارج عن إطار الإقليمية الضيقة الإنسانية الواسعة فيقوى معني الوطنية وفي نفسه نفوس قرانة من بعده، لأنه فرد له تأثير فاعل في الجماعة .

Abstract:

Since the human knew the presence known, was closely linked to the extent of this link these rights may be exchanged between rights and homeland makes it ripe for him in exile alienation, poets wrote in this side a lot of notification and hair dryer home‘ reflect the conditions and circum the home love instinct born with rights and then become the loyalty, so the poets wrote home describing the highlights of the homeland and its nature in the exuberance of the photographers and grief of bilingualism flooding the sincerity and passion for the effective, through the love of the country speaking about his family and the poet links with them and this is a result of the commitment of the homeland, and metimes out of love for the poet, the subject of the birth to the greaf” h fully edited was optimistic with the events of the

Arab States and the various merits d of the regional framework Massive Humanitarian Archbishop Chaput predicting the narrow national meaning in itself, and in the souls of his readers from beyond, because everyone has an active role in the community.

تأثير البيئة على الشاعر:

علاقة الانسان بالمكان علاقة أذليه قديمة قدم وجود الانسان على سطح البسيطة فهو قد امتلك أدوات المعرفة الإلهية والتي قد اعانته بدورها في بناء التجمعات الانسانية عبر العلاقة مع الآخر والتعاطي معه لخلق نسيج اجتماعي متين يعينه في سبر أغوار الطبيعة والتناسق مع مظاهرها اذ كانت ولا زالت الغاية من خلقه إعمار الأرض وعبادة الخالق ومن هنا بدأت نواة المجتمع الأسرة الصغيرة تشكل النقطة المركزية التي انطلق منها المجتمع بشكله الممتد الإنساني الواسع (تكوينات الحضارة الانسانية بدأت بنواة صغيرة , تعيش حول نفسها تعرف بالأسرة)⁽¹⁾.

وخلال هذا العقد الاجتماعي وثق الانسان علاقته ببيئته وقوى من أوارها فأصبحت مؤثرات البيئة تنسحب على شخصه وتؤثر في تكوينه الجسماني والخلقي أيضاً وتشكل مزاجه ونفسيته وهويته ومن ثم على إبداعه، والشاعر بوصفه أكثر حساسية عن غيره من الناس بما يتمتع به من رهافة في الحس وسمو في العاطفة وسعة في الخيال فقد طبعت البيئة مزاجه وأنعكس ذلك المزاج تلقائياً على فعله الإبداعي , وقد أشار القاضي الجرجاني الى هذه الظاهرة والتي يمكن ان اطلق عليها أثر الطباع والبيئات على الشعر , يقول عن ذلك: ((وقد كان القوم يختلفون في ذلك , وتتباين احوالهم , فيرق شعر أحدهم ويتوعد منطق غيره , وإنما ذلك بحسب اختلاف الطباع وتركيب الخلق , فإن سلامة اللفظ تنبع سلامة الطبع , ودمائه الكلام بقدر دماثة الخلق , ... , وترى الجافي الجلف منهم كز الألفاظ , معقد الكلام , وعر الخطاب , حتى انك ربما وجدت ألفاظه في صوته ونغمته , وفي جرسه ولهجته , ومن شأن البداوة ان تحدث بعض ذلك))⁽²⁾.

اذ تسهم تضاريس المكان ومعالمه الجغرافية في تكوين روح الشعر وترسم ملامحه , تلك الملامح التي قد تتوحد لدى شعراء البيئة الواحدة , مثل ما نجد مصداق ذلك لدى شعراء البيئة الصحراوية قديماً (للصحراء موسيقى ذات نغمة واحدة متكررة , موسيقى عابسة قاسية , رهيبية عظيمة , فلا عجب ان ترى أهلها قد أستولى عليهم نوع من انقباض شعراؤها بنوع واحد من القول ونغمة واحدة ؛ لأن الصحراء توقع على نفوسهم صوتاً واحداً , فيشعرون – كما تلقوا - شعراً واحداً)⁽³⁾.

ولذلك اكثر العرب قديماً في اشعارهم من وصف هذه البيئة ومعالمها من منازل ومقامات ومصادر مياه ومراتع كلاً مما وعته نواظرهم واعتادت عليه امزجتهم وذلك ما أشار اليه ابن طباطبا العلوي في حديثه عن ملامح الشعرية لديهم ((وأعلم ان العرب أودعت أشعارها من الأوصاف والتشبيهات والحكم ما احاطت به معرفتها , وأدركه عيانها ومرت

⁽¹⁾ جاك جان روسو , العقد الاجتماعي , ت: دار المعرفة , بيروت , ص: 17 .

⁽²⁾ القاضي الجرجاني , أبو علي أحمد بن عبد العزيز , الوساطة بين المتنبى وخصومه دار إحياء الكتب العربية , القاهرة , 1951 , ص : 17-18.

⁽³⁾ أحمد امين , فجر الاسلام , ج 2 , ص : 45 .

به تجاربها وهم أهل وبر , صحنهم البوادي , وسقوفهم السماء فليست تعدو اوصافهم ما رأوه منها وفيها . وفي كل واحدة منهما في فصول الزمان على اختلافها ((⁽¹⁾).

وهذا يمثل لنا ارتباط الإنسان بالمكان ارتباطاً عميقاً وتتجذر هذه العلاقة لدى الشعراء فيما عرف بالارتباط بالوطن والتغني بحبه من خلال تجسيد مظاهره شعرياً , وأرى - هنا - حرّي بي ان أعرج على مفهوم كلمة "وطن" من خلال معاجم اللغة العربية فقد جاءت دلالة الكلمة في " جمهرة اللغة " لابن دريد : (الوطن : حيث أقمت من بلدٍ أو دار يقالُ وطنتُ المكان وأوطننت به وأنا واطنٌ ومواطنُ الوطن والمواطن واحد وجمع المواطن مواطن وجمع الوطن اوطان)⁽²⁾.

وحده ابن سيده كذلك بقوله: (الوطن : حيث اقمتم من بلدٍ أو دار)⁽³⁾.

والملاحظ ان اصحاب المعجمات اللغوية لم يربطوا بين مفهوم الوطن ومسقط الرأس او الموئل بحيث يكون الوطن هو مكان الميلاد , ولعل ذلك يعود الى طبيعة الجزيرة العربية وسمة حياة الترحال والتنقل وراء منابت العشب وموارد المياه فحيثما طاب للعربي المكان كان موطنه , وتباعاً لذلك لم يعنِ الوطن لدى الشاعر القديم تلك الرقعة الجغرافية المحددة بحدود مكانية معينة (كان المقصود به المنزل الذي يحل به المرء , وينزل فيه مع اهله وعشيرته , لأن تجمع العرب قديماً في بقعة ما ؛ كان يقوم على أساس بشري قبلي , لا جغرافي مكاني , فكانت فكرة الوطن لذلك مرتبطة بالعلاقة البشرية الانسانية لا بالرابطة الجغرافية المكانية)⁽⁴⁾.

وهي في معاجم اللغة الانجليزية يأتي البحث عن كلمة وطن فيما يشار إليه بلفظة Home في قاموس اكسفورد The Oxford English Dict ثم انتجت منها تراكيب كلها تدور حول الوطن ومفهومه مثل Home Land والتي تعني الوطن أيضاً , ومنها كذلك Home Less وتعني المشردين فاقدى الوطن ومنها Home sick وتعني المصاب بداء عشق الوطن.

اما مفهوم الوطن في العصر الحديث فأرى انه يعني تلك البقعة من الأرض التي تحوي شعب تتوحد وشائج الترابط بين افراده سواء كانت هذه الوشائج دينية او ثقافية او عرقية او لغوية او المصلحة العامة او المصير المشترك وتلك البقعة تحدها حدود جغرافية محددة واضحة على خلاف ما عرف عن الوطن قديماً , ولكل ذلك تتأتى الوطنية الصادقة التي تنبع من الأعماق وتكتسب دون وعي وطواعية وتتشرب الأنفس مياها منذ نعومة الأظافر وتشب وتقوى في النفوس كل حسب منطلقاته ورؤيته لمعاني الوطنية والتي تختلف باختلاف الطرائق التي تتبناها الأفكار والتيارات الانسانية المختلفة.

⁽¹⁾ ابن طباطبا العلوي , عيار الشعر , تحقيق : طه الحاجري , المكتبة التجارية الكبرى , القاهرة , 1956 , ص 60 .

⁽²⁾ ابن دريد ابو بكر محمد بن الحسن الأزدي البصري , جمهرة اللغة "مادة وطن" , ج 3 مؤسسة الحلبي للنشر والتوزيع , القاهرة , 1345هـ , ص 119 .

⁽³⁾ ابن سيده , المخصص , مادة "وطن" , ج 4 , المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر , بيروت , ص 119 .

⁽⁴⁾ عزيزة مريدن , القومية الانسانية في شعر المهجر , الدار القومية , اليمن , 1966م , ص 72 .

وفي منحى آخر يبين العلاقة الوطيدة بين الشاعر وبيئته او وطنه هو فعله الإبداعي الذي حملَه بعشق الوطن وتداعياته سواء كان في الشعر الذي يصف معالم الوطن والمكان او في تصوير دفقات الشوق والحنين الى ذلك الملاذ الآمن , ولعل أقدم مظهر يبين ارتباط الإنسان الشاعر بالأرض ومراتع الصبا ما ورد في الشعر الجاهلي من بكاء على الأطلال ما عُرف بالمقدمة الطللية والذي ما هو في حقيقته سوى لون من ألوان الحنين الى الوطن وقد اشار الى هذا المعنى الأمدي بقوله: ((العرب لا تقصد الديار للوقوف عليها , وانما تجتاز بها , فإن كانت على سنن الطريق ؛ قال الذي له إرب في الوقف لصاحبه , او أصحابه : قف , وقفا , وقفوا . وإن لم تكن على سنن الطريق , قال: عوجا , وعرجا وعوجوا , وعرجوا))⁽¹⁾. فيكون النتاج شعراً انسانياً صادق العاطفة لأنه ينتج عن اعماق العواطف لصوقاً بالنفس وافرأزاً طبيعياً منها وبالتالي يلقي هوى في نفس متلقيه وذلك لأن ((الشوق والحنين من أعماق المعاني الانسانية , واشدها لصوقاً وعلوقاً بالنفس))⁽²⁾.

فالشاعر العربي الجاهلي هو في المقام الأول يحاور المكان الذي ينتمي إليه عبر تلك القفزة الى الماضي لاستدعاء صور ماضوية مشرقة تتوحد من خلالها مشاعر المتلقين مع مشاعره اذ يربط بينهم ذلك الماضي المشترك , وعن ذلك يقول مصطفى ناصف: ((إن محتويات هذه الذاكرة تحتاج الى البعث فالذاكرة هنا حية نشطة , يبعث على نشاطها ما نسميه الدّمن والآثار , والذي يقرأ الشعر الجاهلي يجد الشاعر باستمرار . كالذي يشعل النار او النشاط في كل مكان ويصبح المكان جزوة من اللهب , لا شيء يصبح منسياً أو مهملاً او مكبوتاً مضيعاً))⁽³⁾.

وظل الكثير من الشعراء يعتمدون المقدمة الطللية في مطلع قصائدهم حتى في عصور الأدب المتأخرة وذلك لما يوفره له هذا المنحى من براعة في الاستهلال تشدّ هم المتلقي لمطالعة النص وذلك لما توفر لها من دقات عاطفية تتعلق بالأهل والأصحاب والأحباب وعاطر الذكريات , فهو شعور انساني اجتماعي عام لا يستطيع المرء التخلي عنه , لذلك ظل الحنين الى الاوطان ماثلاً في آداب الأمم على صعيد الفكر الإنساني المتجزر , ولذلك يمكن اعتبار ((مقدمة القصيدة العربية ظاهرة فنية نشأت مع نشأة القصيدة العربية في الجاهلية , وظلت تلقانا في صدها على امتداد العصور الأدبية التالية))⁽⁴⁾.

وما كان سردنا لأبجديات شعرية المكان في التراث العربي القديم إلا لغاية الوصول الى حقيقة مؤداها أن الشاعر العربي عرف شعر الأمكنة ورسم تفاصيلها الدقيقة , وهذا بذاته يدحض ما ذهب اليه الكثير من الباحثين حينما زعموا ان خطاب الشاعر العربي عن المكان ما هو الا تقليد لشعر الأمكنة او المدن الغربي ولا سيما التراث الانجليزي المتمثل في قصيدة الأرض الخراب او الأرض اليباب للشاعر الانجليزي اليوت وهذا ما ذهب اليه الدكتور عز الدين

(1) الأمدي , الموازنة بين أبي تمام والبحثري , حققه محي الدين عبد الحميد , المكتبة التجارية الكبرى , القاهرة : ط 3 , 1957م , ج 1 , ص 409 .

(2) عبد الله الطيب , المرشد لفهم اشعار العرب وضاعتها , دار جامعة الخرطوم للنشر ط 3 , 1991م , ج 3 , ص 140 .

(3) مصطفى ناصيف , قراءة ثانية لشعرنا القديم , دار القلم , 1965 , ص 55 .

(4) حسين عطوان , مقدمة القصيدة العربية في صدر الاسلام , ط 1 , 1407هـ - 1987م , دار الجيل , بيروت , ص 7 .

اسماعيل وآخرون وان لم يشر اليه بصورة مباشرة ((أما فيما يختص بمصدر هذا الاهتمام فإنه يظن أن الدافع الأول إليه دافع خارجي جاء نتيجة لتأثر الشعراء المعاصرين بنماذج من الشعر الغربي , وبقصيدة " الأرض الخراب " لأبيوت على وجه الخصوص))⁽¹⁾.

ولكنني أرى تأثير الشاعر البيوت يبدو واضحاً بالتراث العربي القديم وخاصة في جانب شعرية المكان وقد اتضح ذلك بصورة حاسمة لا تترك مجالاً للشك في مقالات الدكتور عبد الله الطيب عن سرقات البيوت من الشعر العربي إذ من الواضح أن البيوت قد أخذ فكرة قصيدته " الأرض الخراب " عن معلقة الشاعر الجاهلي لبيد بن ربيعة العامري فأنت حين تطالع أرضه الخراب يخال إليك كأنها نسخة مترجمة حرفية لمعلقة لبيد التي مطلعها :

عفت الديار محلها مقامها *** بمنى تأبد غولها فرجامها⁽²⁾

لذلك لا بد من الوقفة المتأنية حينما يراد التأسيس لأي ظاهرة فنية أو شعرية , لأنه دائماً ما يكون لها أصول عربية في التراث العربي وان لم تأخذ سمة التعمق والملاح الواضحة كما هو شأن الظواهر في الحياة المعاصرة لاختلاف الأدوات ومتغيرات الظروف والعصور .

وقد تفاوتت طرق تناول الشاعر القديم للمكان (الوطن) في ثنايا قصيده فمنهم من اقتصر على ذكر الأمكنة بطريقة احصائية تبدو عليها التقريرية والمباشرة , وما أظن أن ذلك كذلك إلا بهدف ذكر المكان وقصده دون سواه بالشوق والحنين , مصداق ذلك ما جاء في قول امرئ القيس :

يذكرها اوطنانها تلّ ما سحٍ *** منازلها من بربعيص وميسر⁽³⁾

فقد ذكر الشاعر "تلّ ما سح" الذي أهاج له الذكرى والمنازل بمنطقتي بربعيص وميسر.

ومنهم من توحد في شعره المكان وجعل الوطن ونفسه ذلك الكل الذي لا يتجزأ , أنظر الى قول جميل بن معمر:

أنا جميلٌ والحجاز وطني *** فيه هوى نفسي وفيه شجني⁽⁴⁾

نجد ان الشاعر تهتف مفتخرة وكأنه يقدم بطاقة تعريفية فيحنا قال " انا جميل " وكأن ذلك ليس كافياً لمعرفة وهو الشاعر العلم وتأتي شعرية المكان "الحجاز وطني" لتوحي ظلالاً دلالية تضاف الى الشاعر لتوحي بظلالاً وطنية أصيلة متمثلة في هوى النفس المتجذر والشجن الدفاق .

أما موقف الشاعر العربي الحديث من شعرية الأمكنة فقد تراوحت ما بين وصف معالم المكان والافتخار بالانتساب إليه ومدح رموزه , يقول سعيد عقل في قصيدة " سائلين " مادحاً الشام :

ظمى الشرقُ فيا شامُ اسكبي

(1) عز الدين اسماعيل , الشعر العربي المعاصر , قضايا وظواهره الفنية والمعنوية , المكتبة الأكاديمية ط7 , 2010م , القاهرة , ص 280 .

(2) مفيد قميحة , شرح المعلقات العشرة , ص 191 .

(3) امرؤ القيس , ديوانه , تحقيق : أبو الفضل ابراهيم , دار المعارف , مصر , 1958م , ص 216 .

(4) جميل بن معمر , ديوانه , جمع وتحقيق : د. حسين نصار , مكتبة مصر , القاهرة , ط2 , 1964 , ص 206 .

واملاي الكأس له حتى الجمام
أهلك التاريخ من فضلهم
ذكرهم في عروة الدهر وسام
أمويون فإن ضقت بهم
ألقوا الدنيا ببستان هشام⁽¹⁾

فالشاعر يفخر بأصله الشامي الأموي وكيف ان الشام هي مهد الحضارات والتاريخ وهي وجهة الأمة العربية ومصدر
عزها وفخرها .

ويقول الأخطل الصغير في قصيدة "الشام منبتهم" مفتخراً :

الشام منبتهم وكم من كوكب
هادٍ وكم من بلبل صدّاح
نسلنهم أمضى السيوف , فهذه
لابن الوليد وتلك للجراح
وطنٌ أعار الخلد بعض فتونه
وسقى المكارم فضلة الأقداح
والشمس فوق سهوله ونجوده
عربية الإمساء والإصباح⁽²⁾

يمدح ويفخر الشاعر بقومه من خلال توظيف ايحائية المكان "الشام منبتهم" وكأنه يريد ان يختصر جام المناقب في
الشام الموطن وذلك بالتحديد الذي لا يقبل المفاصلة في طيب المنبت والأصل , فهو يشير الى مظاهر الطبيعة
وتوظيف معالمها شعرياً في إشارة واضحة الى التفاعل مع البيئة فهناك الكواكب الهادية والبلابل الصداحة , ثم هناك
كرم المنبت المتمثل في الشجاعة والمروءة "بن الوليد والجراح" في إشارة واضحة الى رموز التاريخ العربي
والاسلامي البارزة ثم ينتقل الشاعر في بلاغة رائعة من حسن التعليل اذ جعل جمال الخلد وروعته مما ورد في
الوصف القرآني هو مد جمالي مكتسب من حسن الشام " وطن أعار الخلد بعض فتونه " وانما هو بعض من الجمال
الذي تتبدى ملامحه كاملة آية في الجمال في السهول والنجود تطل عليها شمس عربية في الإصباح والإمساء فالشاعر
من خلال هذه النسبة "شمس عربية الامساء والإصباح" انما يعترز ويفخر ويتمسك بأصالة انتمائه العربي .

ويقول بشارة عبدالله الخوري في قصيدته "لبنان" مادحاً لها وواصفاً :

⁽¹⁾ سعيد عقل ' ديوان "كما الأعمدة" بيروت , 1991 , ص 72 .

⁽²⁾ الأخطل الصغير , ديوانه , دار الكتاب العربي , 1972م , ص 232 - 234 .

لبنانُ كمّ للحُسنِ فيكَ قصيدةُ
نثرتُ مباسمها عليها الأنجمُ
كيفَ التفتَ فجدولُ متأوهُ
تحت الغصونِ وربوةُ تنبسمُ

وطنُ الجميعِ على خدودِ رياضهِ

تختالُ فاطمةُ وتنعمُ مريمُ⁽¹⁾

يبتدر الشاعر نصه بذكر وطنه: لبنان" وكأنه يريد أن يبين لنا مكانة الوطن في نفسه فهو الأول دوماً وله قصب السبق والريادة في سوح الجمال والإبداع فله منها النصيب الكبير "كم للحسن فيك قصيدة" , ذلك الحسن الذي تتجلى سردياته في الأنجم المضيئة وتلك الجداول التي تصدر أصواتاً رقيقة وكأنها تتأوه من وطأة الغصون وميلانها عليه في تجسدية بهيجة وهناك الروابي عالية مورقة ترقب أنين الجدول ومعانقة الأغصان له فتفتن شفاهها عن ابتسامه رضا مغذاها الإحساس بالجمال الصارخ وكأنها قد أدت دورها في جمال الوطن وبهائه ورونقه ذلك الجمال الذي ينعكس في وحدة الشعب "وطن الجميع على خدود رياضهِ , ومن ثم تختال أنثاه وتنعم .

وهنا ومضة عشق صادقة للشاعرة الكويتية المعاصرة سعاد الصباح في قصيدة "وردة البحر" , تقول :

((كويتُ , كويتُ

موائئُ أبحر منها الزمانُ

وواحةُ حبِّ وبرِّ أمانُ

وشعبُ عظيمُ

وربُّ كريمُ

وأرضُ يسيجها العنقوانُ

تردد الشاعرة في لهف وعشق وطني صادق اسم الوطن معتمدة على بنية التكرار وما يبعث في النفس من تلذذ يفتح للنص آفاقاً خارجية من المعاني والظلال (كويتُ , كويت) , كيف لا ومنطلق التاريخ كان منها ومرجعه كذلك اليها فهي موائئ الزمان وواحة حبه وبر أمانه , أناسه طيبون عظام , وتتفرج هنا دلالة "ربُّ كريمُ" لتشير الى اكثر من دلالة فقد يكون المعنى بالرب الكريم أميرها والذي هو يتسم بالكرم والسماحة , او قد يكون المراد بالدلالة الله جلّ في علاه وهنا يأخذ المعنى بعداً قدسياً فهي أرض محمية بكرم الله وعطائه الذي لا ينقطع بل هو في حالة زيادة وفيضان

⁽¹⁾المرجع السابق , ص 44 .

جزاء نعمة الشكر والحمد فاكتست الأرض ايناعاً و عنفواناً يعود بالنفع على أهله وساكنيه . بل الى خارج حدود القطر
فقد مس القوم خيراً منها , لذلك هي مهوى الفؤاد وميله :

كويثُ , كويثُ

أحبكِ ... كالشمس تُعطينُ ضوءكِ للعالمينُ

أحبكِ كالأرضِ...

تعطين قمحكِ للجائعينُ ...

وتقتسمين الهمومَ مع الخائفينُ

وتقتسمين الجراح مع الثائرين⁽¹⁾

ثم تمتد شعرية المكان "الوطن" لدى الشاعر الحديث الى تصوير آلام الوطن ومحنه ويتخذ هذا الجانب بدافع التزامه
الوطني الصادق ازاء الوطن ونكباته المتوالية إبان الحربين العالميتين وما بينهما وما تمخض عنهما من نتائج كثيرة
كان لها تأثيرها السلبي على الوطن العربي , فانبرى الشعراء يكتبون بأقلام نازفة آلام الوطن وانينه , يقول أحمد
شوقي في قصيدة "نكبة ومشق" في حفلة أقيمت لإعانة منكوبي سوريا في يناير سنة 1926 :

سلامٌ من صبا (بردى) أرقُ *** ودمعٌ لا يُكفكفُ يا دمشقُ

وبى مما رمتكِ به الليالي *** جراحاتٌ لها في القلب عُقُ

لحاها الله أنباءً توالَتْ *** على سمع الوليِّ بما يَشُقُّ

تكاد لروعة الأحداثِ فيها *** تخال من الخرافةِ وهي صدقُ

ألسنِ دمشقٍ للإسلامِ ظنراً *** ومُرضِعَةُ الأبوةِ لا تُعقُّ؟

وكل حضارةٍ في الأرض طالت *** لها من سرجكِ العُلوي عِرْقُ

ولأجل الوطن تراق الدماء , وهو حق يقره المستعمر لنفسه وينكره على الأحرار :

دمُ الثوار تعرفهُ فرنسا *** وتعلم أنه نورٌ وحقُ

بلادٌ ماتت فتيبتها لتحيا *** وزالوا دون قومهم ليقوا

وحُدَّرتِ الشعوبُ على قناها *** فكيف على قناها تسترقُ

وللأوطان في دم كل حُرٍّ *** يدُ سَلَفَتْ ودينٌ مستحقُّ⁽²⁾

(1) سعاد الصباح , فتافيت امرأة , دار سعاد الصباح , الكويت , ص 145-155 .

(2) أحمد شوقي , الأعمال الشعرية الكاملة , مج 1 , ج 2 , ص 74-77 .

وكذلك بيكها الشاعر محمد مهدي الجواهري في قصيدة "دمعة على دمشق" وقد نظمها في عام 1926م على اثر الثورة الوطنية التي اندلعت في سوريا ضد الانتداب الفرنسي، متوحداً مع آلامها، واعداً ببزوغ فجر الحرية الذي بدأت تبشيره تلوح في الأفق، يقول:

مثل الذي بك يا دمشق *** من الأسي والحزن مابي

لابد أن يأت الزما *** ن على بلادي بانقلاب

ويرى الذين توطنوا *** أن الغنيمة في الاياب⁽¹⁾

الشعر الوطني من أكثر الأشعار لصوقاً بالوجدان والذاكرة، ألا ترى ما اكتسبه البيت الشعري لشوقي من رواج وسيرورة عبر البقاع والأزمان (وللأوطان في دم كل حرّ يد سلفت ودين مستحق)، وكذلك قول الشاعر والذي يجري مجرى الأمثال "ان الغنيمة في الاياب" فأصبحت اقوال مأثورة ملك للضمير الجمعي.

وهناك واقعة "دنشواي" وما لها من وقع مؤلم في نفوس المصريين والعرب عامة فالشاعر في تلك المرحلة خرج عن اقليميته الضيقة الى نطاق رحب نطاق الانسانية جمعاء، فالشاعر العربي كان يتفاعل مع احداث الدول العربية ووقائعها الدامية من اجل التحرر والجلاء، فقد كتب حافظ ابراهيم قصيدة عن دنشواي مطلعها:

بنات الشعر بالنفحات جودي *** فهذا يوم شاعرك المجيد

ويمضي قائلاً مصوراً ايجابية هذه الواقعة على اعتبارها حافظاً للبعث او الثورة فأضحى زهران رمزاً للنضال والثورة:

قتيل الشمس اورثنا حياة *** وأيقظ هاجع القوم الرقود

فليت كرومراً قد دام فينا *** يطوق بالسلاسل كل جيد

ويتحف مصرَ أنا بعد أن *** بمجلود ومقتول شهيد

لنزرع هذه الأكفان عنا *** ونبعث في العوالم من جديد⁽²⁾

ويصور الشاعر أبو القاسم الشابي وطأة الانتداب الفرنسي على تونس، وسومهم العذاب على يديه:

ألا أيها الظالم المستبد *** حبيب الظلام عدو الحياة

سخرت بأنات شعب ضعيف *** وكفك مخضوبه من دماء

وسبرت تشوه سحر الوجود *** وتبذر شوك الأسي في رباه⁽³⁾

ويقول الرصافي مصوراً حكومة الانتداب التي شكلها الاستعمار الانجليزي في العراق في قصيدة غادة الانتداب مشبهاً الانتداب بغادة حسناء جميلة المظهر ولكنها سيئة الجوهر يسهل ان ينخدع الانسان بخارجها، يقول:

(1) محمد مهدي الجواهري، ديوانه، ج1، ص57.

(2) حافظ ابراهيم، ديوانه، ص144.

(3) أبو القاسم الشابي، ديوانه، مؤسسة النور للمطبوعات، 1999م، ص254.

في الكرخ من بغداد مرّت بنا *** يوماً فتاة من ذوات الحجاب
لَبَّبَتْهَا مَوْقِرَةٌ بِالْحُلَى *** وكفها مشبعةً بالخصاب
تخالبُ الناسَ بأوضاعِها *** وكلُّ ما يصدرُ منها خِلابُ
قال جليسٌ يوم مرّت بنا *** من هذه الغادة ذات الحجاب؟
تحسبها حسناء من زيّها *** وما سوى (جُنْبُول) تحت الثياب
ظاهرها فيه لنا رحمةً *** والويلُ في باطنها والعذاب
مصابنا أمسى فظيلاً بها *** يا ربَّ ما أعظم هذا المصاب⁽¹⁾

وتداخل هنا تقنيات السرد اذ يعتمد الشاعر الي اضعاء الاسلوب القصصي في فعله الابداعي من خلال استحضار عناصره من مكان "في الكوخ من بغداد" تم الشخصوص على مستويات متمثلة في الشخصية الرئيسية محور الحدث أو الواقعة "فتاة من ذوات الحجاب" ووصف حسي خارجي ظاهر لحسنها وملابسها وحليها، والشخصيات الثانوية ممثلة في شخص الشاعر وجليسه، ثم يعتمد الشاعر على الحوار بين الشخصوص ليضفي مزيداً من القوة والشغف على نصه ليصل بنا عقدة الحوار التي تتمثل في التساؤل عن ماهية الفتاة ثم لا يلبث أن يصل بنا الى حل وهو كنه هذه الفتاة بزوال القناع عن وجهها لتكشف عن انياب تلتهم خيرات الوطن وتمتص دماء مواطنيه ولكنها مفتوحة تمكن القارئ من وضع النهايات لها وقف ما يراه مناسباً وذلك لأنها تفتح الباب على مصراعيه لتخلق المزيد من الاسئلة على شاكلة الى متى يظل الشعب ينخدع بسراب المستعمر ويحسبه الظمان ماءً؟ وكم ستخدع هذه الفتاة الأفعى بنعومتها من غافلين؟ وما دور الشاعر نظرائه في رفع النقاب عن وجه هذه الفتاة وتعرية الحقيقة للعيان؟

النتائج:

1. أصبح للمكان أهمية في وعى الأدب والشعر خاصةً .
2. إدراك حقيقة مؤداها أن المكان ليس مجرد حيز فيزيائي أو جغرافي بل هو أيضاً ذلك الملاذ الطبيعي والاجتماعي والنفسي والجمال الذي ينمو فيه الكائن الإنساني .
3. للمكان في التوظيف الشعري ثلاثة مستويات ، وهي : صورة التمثل المكاني في النص الشعري وثانيها : درجة القيمة الجمالية التي تكتنف النص وترفع من فنيته ، وثالثها : درجة الرمزية التي يمكن أن تستشف من النص وتفتح فضائه علي عدد من القراءات.

⁽¹⁾معروف الرصافي، ديوانه، بيروت، ار العودة، 1972، ص 376 .

التوصيات :

1. تمت دراسة المكان دراسة مكثفة في فن العمارة والرسم والنحت ، في حين تراجعت تلك الدراسات في الفن الشعري بوصفها فناً زمانياً ، لذلك لابد من إحاطته بالمزيد من الإهتمام .
2. لابد من ربط جمالية المكان ببعدها، قد يكون إجتماعياً أو سياسياً أو تاريخياً ، لأنه كلما ارتبط المكان بقيم معينة تميز المكان بالبعد الفني الجمالي .
3. الإهتمام كذلك بشعر المكان ودلالته لانه ينشأ أجيال تتعمق في دواخلها معاني التربية الوطنية وحب الوطن .

المصادر والمراجع

أولاً : الكتب :

1. ابن دريد أبوبكر محمد بن الحسن الأزدي البصري ، جمهرة اللغة "مادة اللغة" ، مؤسسة الحلبي للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 1345هـ، ج3.
2. ابن سيده، المخصص ، مادة " وطن" ، ج4، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر ، بيروت.
3. ابن طباطبا العلوي ، عبارة الشعر ، تحقيق : طه الحاجري ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ، 1965م.
4. أحمد أمين ، فجر الإسلام ، ج 2.
5. الأمدي ، الموازنة بين أب تمام والبحثري ، حققه:محي الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ، ط3، ج1. 1957م.
6. القاضي الجرجاني ، أبو علي أحمد بن عبد العزيز ، الوساطة بين المتنبي وخصومه ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، 1951م.
7. جاك جان روسو ، العقد الإجتماعي ، دار المعرفة ، بيروت .
8. د. حسن عطوان ، مقدمة القصيدة العربية في صدر الإسلام ، ط1، 1407هـ. الموافق 1987م، دار الجيل بيروت .
9. د. عبد الله الطيب ، المرشد لفهم أشعار العرب وصناعتها، دار جامعة الخرطوم للنشر ، ط3، 1991م ، ج3.
10. د.عز الدين إسماعيل ، الشعر العربي المعاصر قضاياها وظواهره الفنية المعنوية ، المكتبة الأكاديمية ، ط7، 2010م، القاهرة .

11. عزيزة مريدن ، القومية الإنسانية في شعر المهجر ، الدار القومية ، اليمن ، 1966م .
12. مصطفى ناصف ، قراءة ثانية لشعرنا القديم ، دار القلم ، 1965م .

ثانياً : الدواوين الشعرية :

1. إمروء ، القيس ، ديوانه ، تحقيق أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف مصر ، 1958.
2. أبو القاشم الشابي ، ديوانه ، مؤسسة النور للمطبوعات ، 1999م .
3. أحمد شوقي ، الأعمال الشعرية الكاملة ، مج1، ج2.
4. الأخطل الصغير ، ديوانه ، دار الكتاب العربي ، 1972م .
5. جميل بن معمر ، ديوانه ، جمع وتحقيق :د. حسين نصار ، مكتبة مصر ، القاهرة ، ط2، 1964م.
6. حافظ إبراهيم ، ديوانه .
7. سعاد الصباح ، فتافيت إمراة، سعاد الصباح ، الكويت .
8. سعيد عقل ، ديوانه ، كما "الأعمدة " بيروت ، 19919م .
9. محمد مهدي الجواهري ، ديوانه ، ج1، .
10. معروف الرصافي ، ديوانه ، بيروت ، دار العودة .
- 11.د. مفيد قميحة ، شرح المعلقات العشرة.